يوميات امرأة لا مبالية

نزار قباني

ثُوري ! . أحبّكِ أن تثُوري..
ثُوري على شرق السبايا . والتكايا .. والبخُورِ
ثُوري على التاريخ ، وانتصري على الوهم الكبيرِ
لا ترهبي أحداً . فإن الشمس مقبرةُ النسورِ
ثُوري على شرقٍ يراكِ وليمةً فوقَ السريرِ..

نزار

قصة اليوميات

"يوميات امرأة لا مبالية" هو كتابكنّ. هو كتاب كل امرأة حكم عليها هذا الشرق الغبي الجاهل المعقّد بالإعدام ونفذ حكمه فيها قبل أن تفتح فمها .ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعقّد يضطر رجل مثلي أن يلبس ثياب امرأة، ويستعير كحلها وأساورها ليكتب عنها. أليس من مفارقات القدر أن أصرخ أنا بلسان النساء، ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية.

ثم أليس من المفارقات المضحكة، أن آتي إلى قاعة الوست هول لأشرح لكن أيتها المباليات مشاكل هذه اللامبالية النفسية والجسدية..

لماذا تصمتن أيتها النساء ؟

لماذا أكل القط ألسنتكنّ ؟

لماذا تنتظرن من يأخذ بثأركن ولا تأخذن ثأركن بأنفسكن؟

نحن الرجال لا نعطي شيئاً. نأكل البيضة وقشرتها.

ندّعي التحضر ونحن أكثر بدائية من ضباع سيبيريا.

ندرس في جامعات أوروبا ونعود أكثر توحشاً من الماو ماو .

نقدم الورد لعشيقاتنا وننشر رقبة شقيقاتنا بالمنشار.

نحن الرجال، نضع في فمنا السيجار ونتصرف بغريزة الجمل .

نتمشى مع صديقتنا في حديقة عامة وفي أعماقنا تصرخ الغابة.

نتحدث عن الحرية وفي داخلنا تصطك أبواب الحريم وتخشخش مفاتيحه وأقفاله.

نحن الرجال، خلاصة الأنانية وشهوة التملك والاقطاع.

نحن النفاق الذي يمشي على قدمين ، والوصولية التي تمشي على أربع.

فلماذا تسكتن علينا أيتها النساء. لماذا ؟..

أليس هناك واحدة منكن ، واحدة لوجه الله ، تستطيع أن ترد لنا الصفعة صفعتين ، والكرباج كرباجين ؟

منذ كان الرجل وهو يتحكم بكن ، بأقداركن ، بأجسادكن ، بعواطفكن ، بدموعكن ، بلذتكن ، بفراشكن ... منذ أن كان الرجل وهو يحتكر لنفسه كل شيء . يحتكر المعرفة والحكمة والذكاء والدولة والسياسة والتشريع والحب والشهوة. يحتكر حتى غطاء السرير..

ومن هنا كان لا بد من العثور على امرأة من هذا الشرق ، تملك القدرة على الصراخ ، تملك الجرأة على التحدث عن نفسها وعن جسدها دون أن تلطخها عقدة الذنب وفؤوس العشيرة . كان لا بد من العثور على واحدة . امرأة واحدة . تنتزع القفل الصدئ الموضوع على فمها وترميه في وجه سجّانها.

كان لا بد من امرأة فدائية تقبل بمحض إرادتها أن تمد جسدها وسمعتها جسراً تمر عليه بنات جنسها إلى الضفة الأخرى من النهر. إلى ضفة الحرية.

بحثت عنها طويلاً هذه المرأة الشجاعة.

في المدن بحثت عنها. في القرى بحثت عنها ، في الحقول بحثت عنها. في مدارس البنات، في الجامعات، في الجمعيات النسائية ، في حفلات عرض الأزياء حيث الحرية تتحرك على مدى عشرة سنتيمترات فوق الركبة ولا تتعداها إلى قلب لابسة الثوب وإنسانيتها.

ما أضيق الحرية التي طولها عشرة سنتيمترات فقط. ما أضيقها.

اكتشاف امرأة من هذا الطراز كان معجزة.

ووجه الإعجاز فيها أنها تتكلم وتكتب أيضاً. ليس قليلاً أبداً أن تمارس امرأة في شرقنا النطق والكتابة .

فالمسؤولون عن سجن النساء منعوا لسانها عن الحركة. قطعوه وأكلوه. أنسوها غريزة النطق. وصادروا منها أدوات الكتابة.

والكتابة التي أقصدها ليست كتابة الفروض المدرسية، وإعداد الأبحاث والأطروحات الجامعية .

الجامعيات عندنا برغم كونهن يكتبن فإنهن لا يكتبن.

برغم كونهن ينطقن فإنهن لا ينطقن. برغم كون الخنجر مزروعاً في ظهورهن فإنهن لا يصرخن.

أنا لا أؤمن بحرية تنفصل عن النطق والسلوك.

حرية المرأة هي أن تسقط في الماء بكامل ملابسها لا أن تتنزه في حديقة الجامعة وهي تتأبط الكراريس المدرسية.

الحرية جواد أبيض لا يستطيع ركوبه إلا الشجعان.

قلعة لا تفتح أبوابها إلا للمقاتلين .

العبودية سهلة. إنها جسد مشلول يتعاطى الحبوب المنومة .

أما الحرية فوجع أبدي لا يريح ولا يستريح.

في شتاء عام 1958 عثرت على هذه المرأة الكنز. أرتني جروحها. أرتني مكان المسامير على نهديها.

أرتني آثار الكرباج على ظهرها. أرتني أوراقها. حكت لي كل شيء.

تحدثت بلا نظام ولا ترتيب. تحدثت بشفتيها وأهدابها ودموعها وأظافرها.

تحدثت بلين وشراسة ، بطفولة ووحشية، بحقد وغفران، بكفر وإيمان، بإحتقار وسخرية، بهدوء وعصبية، بشجاعة وتحدٍ.

تكلمت بطلاقة من قضى آلاف السنوات ممنوعاً عن الكلام. تكلمت بحماسة طير وجد أمامه فرصة للهرب.

كانت هذه المرأة تأتيني كل مساء في شتاء عان 1958 وكنت يومئذ ديبلوماسياً في الصين.

شتاء كامل وأنا أستقبل هذه المرأة دون أن يخطر ببالي مرة أن أسألها ما اسمها؟ أين تسكن؟ ما هي مدينتها؟

كان حضورها أقوى من كل أسئلتي. وكانت قضيتها أكبر من التفاصيل والعناوين والأسماء .

وهبت هذه المرأة وأنا لا أعرف عنها سوى أنها كانت جميلة ورائعة وشجاعة.

ذهبت ولم تترك سوى بصمات صوتها على جدران حجرتي، وسوى حزمة أوراق على طاولتي على شكل جرح.

ظلت هذه اليوميات نائمة في درج طاولتي عشر سنوات.

كانت وصية صاحبتها لي قبل أن تذهب، أن لا أنشر يومياتها. وبعد عشر سنوات قررت فجأة أن أخون صاحبة اليوميات وأنشر كلامها على الدنيا.

لماذا لا أخونها؟

إن ما كتبته هذه المرأة لا يخصّها وحدها .

فهي عندما تتحدث عن حزنها فإنها تتحدث عن كل الحزن، وعندما تتكلم عن جسدها فإنما تتحدث عن كل الأجساد.

وعندما تتحدث عن وجدها وحبها وكرهها وشهوتها فإنما تتحدث عن وجد وحب وكره وشهوة النساء جميعاً.

من هذه الزاوية أستطيع أن أبرر خيانتي لهذه المرأة.

لأنني أعتبر هذه اليوميات مصدراً من مصادر النفع العام كالتماثيل والمتاحف والحدائق العامة يجب أن يراها كل إنسان.

نعم. لقد خنت متعمداً هذه المرأة عندما نشرت يومياتها. وللمرة الأولى أحب خيانتي وأتلذذ بمذاقها.

اليوميات عمل من أعمال السخط والتحدي.

سخط على التاريخ وتحدّ له في منتصف الشارع. ثم هي رفض لوضع تاريخي واجتماعي ووراثي مهين ومستمر في زوايا كثيرة من عالمنا العربي.

قد لا ينطبق وضع اللامبالية مئة بالمئة على وضع المرأة البيروتية التي تسكن شارع الحمراء أو الدمشقية التي تقطن حي أبي رمانة، أو القاهرية التي تسكن الزمالك. فقضية المرأة الشرقية لا تنحصر بثلاث مدن وثلاثة شوارع.

لقد اخترت نموذجي من قرانا وأحيائنا الشعبية وبوادينا

حيث لا تزال المرأة تُقايض بالنوق والماعز. وتوزن كأكياس الطحين، وتقوم خلال حياتها بزيارتين..

بزيارتين لا ثالث لهما. واحدة لبيت زوجها والثانية للقبر..

من أجل ماذا كتبت "اليوميات" من أجل من ؟

من أجل الحرية.

كتابي هو كتاب الحرية.

والحرية التي أطلبها للمرأة هي حرية الحب. حرية أن تقول لرجل يروق لها" :إني أحبك" دون أن تقوم القيامة عليها، ودون أن يُرمى رأسها في تنكة الزبالة.

حرية أن تقول كل ما تقوله العصافير والأرانب والحمائم في حالات وجدها وعشقها والتحامها العاطفي.

أطالب بنزع الأقفال عن شفتيها، وإنهاء حالة النفاق الكبير الذي تعيش فيه.

نعم. النفاق الكبير. فالمرأة الشرقية مستودع نفاق كبير. فوجهها وجهان .ونفسها نفسان. وخارجها وداخلها متناقضان. تقول شيئاً وتضمر غيره وتحب رجلاً وتتزوج سواه بسرعة النسانيس.

إنها تحتال على الحب وتكذب وتغشّ، لأن مجتمعنا علّمها أن تكون محتالة وكاذبة وغشاشة. وما دام مجتمعنا ينظر إلى الحب نظرته إلى حشيشة الكيف، وما دامت كتابة رسالة حب واحدة تكلف صاحبتها الوصول إلى حبل المشنقة فسوف تستمر الازدواجية واللصوصية والتهريب العاطفي، ويظل الحب في بلادنا غلاماً بلا نسب يطرق الأبواب ولا يجد من يفتح له.

نحن مجتمع بلا عافية لأننا لا نعرف أن نحب. لأننا نطارد الحب بكل ما لدينا من فؤوس ومطارق وبواريد عثمانية قديمة.

أما لماذا نشرت "اليوميات" في هذا الوقت بالذات .
لماذا اخترت هذا الجو المشبع برائحة البارود والرصاص لأفجّر هذه الثورة الجنسية.

السبب هو أن أي ثورة يقوم بها الجيل العربي الجديد لا تأخذ بعين الاعتبار تحرير هذا الجيل من بعبع الجنس وأفاعيه وعقده الطاحنة، تبقى ثورة في الفراغ، أي ثورة خارج الأرض وخارج الإنسان.

ما دام جسد المرأة العربية مسيّجاً بالرعب والعيب والخرافة وما دام فكر الرجل العربي يمضغ كالجمل غلافات المجلات العارية ويعتبر جسد المرأة منطقة من مناطق النفوذ والغزو والفتوحات المقدسة، فلن يكتب لنا النصر أبداً .لأننا عاجزون عن الانتصار على أنفسنا.

مخطئ من يظن أن هزيمة حزيران كانت هزيمة عسكرية فقط. فحزيران كان هزيمة للجسد العربي أيضاً. هذا الجسد المحتقن، المتوتر، الشاحب الذي لا يعرف ماذا يفعل وإلى أين يذهب.

الجسد العربي هزم لأن المحارب لا يستطيع أن يحارب إلا إذا كان في سلام مع جسده.

نحن بحاجة إلى أن نتصالح مع أجسادنا. أن نلتقي بها، فنحن نعيش في قارة وأجسادنا تعيش في قارة أخرى.

كل ثورة عربية جديدة يجب أن تضع في حسابها إعادة الحوار الطبيعي بيننا وبين أجسادنا، وإعادة الحب إلى مكانته الطبيعية كفعالية إنسانية مبدعة وخلاقة، لا كلص خارج على القانون تلاحقه شرطة الآداب العامة.

ما لم نفتح أمام الحب الضوء الأخضر فسوف نظل مرتبكين ومعقّدين ومفلوجين على الأرض كسيارة فرغت بطاريتها...

ما لم نفتح للحب نوافذنا فسوف نظل نباتات شوكية لا تورق ولا تزهر. وتظل قلوبنا قارات من الملح لا يخرج منها أي غصن أخضر.

ما لم يصبح الحب عاطفة سوية وطبيعية في بلادنا فسنظل

كلنا – رجالاً ونساء – غير طبيعيين وغير سويين وعاجزين عن القيام بأي إنجاز حضاري عظيم.

يصدر "يوميات امرأة لا مبالية" في عصر الثورات . لذلك فإنه يحمل عنف الثورة وجرأتها واستماتتها.

تلاميذ العالم يضربون أسوار العالم القديم. يقلعون أعمدته.

تلاميذ العالم يبصقون على كل الأوثان ويركلونها بأقدامهم.

التلاميذ يريدون أن يغيروا العالم . أن يخترعوه من جديد.

العالم القديم يترنح بجامعاته وأساتذته وكتبه وفلسفاته وأخلاقياته ومواعظه.

لم يعد أحد يخاف أحداً. سقطت كل اللافتات تحت الأرجل. ولم يبق سوى لافتة واحدة يحملها الانسان المعاصر . هي لافتة الحرية. ولأنني مع الحرية حتى النفس الأخير أصدرت "اليوميات."

ولأن أصابعي حرية، وورقي حرية، وحبري حرية، أصدرت اليوميات.

كان بإمكاني بالطبع أن أسجن اليوميات عشر سنوات أخرى في جوايري. كان بإمكاني أن أحرقها.

ولكنني لم أتعود حرق أفكاري. ربما قال قائل: وهل هذا وقت الحديث عن الحب والجنس ونحن غارقون في المأساة حتى الركب؟

ومرة أخرى أقول: إن هذا هو وقت كل شيء..

وقت الانقضاض على كل شيء. لأنه الوقت الذي يحاول فيه الإنسان العربي أن يغير ويتغير.

والجنس هو واحد من همومنا الكبيرة، بل هو أكبر همومنا على الإطلاق. ولن يكون هناك تغير حقيقي إذا بقي الورم الجنسي ينهش حياتنا وجماجمنا.

نحن بحاجة إلى كسر خرافة الجنس، والنظر إليه نظرة حضارية وعلمية فليس من المعقول أن نكون على أعتاب القرن الحادي والعشرين ولا نزال ننظر إلى الجنس نظرة البدوي إلى منسف.. بكل ما فيها من ضيق وجوع وعشائرية، وننظر إلى جسد الأنثى كساحة حرب وميدان ثأر.

نريد أن نرد جسد الأنثى إليها. فهو حتى الآن ملك التاريخ والأعراف والمؤسسات الدينية والدنيوية تتصرف به على كيفها وتضع له قوانين سلوكه قبل أن يولد.

نريد أن نخلّص جسد المرأة من المزايدات الأخلاقية

والعنتريات . فالرجل الشرقي – وهذا أخطر ما في القضية – يربط كل أخلاقياته بجسد المرأة لا بأخلاقياته هو. فهو يكذب، ويسرق، ويزوّر ويقتل ويشلّح على الطريق العام ويبقى أطهر من ماء السماء حتى يعثر في درج ابنته على مكتوب غرام فيشدها من ضفائرها، ويذبحها كالدجاجة ويلقي قصيدة شعر أمام قاضي التحقيق.

سيقول المتزمتون إني أحرض النساء على الحب.

الواقع أنني لا أخاف التهمة ولا أرفضها. بل إنني أباهي بها الخلق يوم القيامة.

فالتحريض على الحب هو تحريض على السمو والنقاء والبراءة والطفولة والعافية.

إنني أحرضكن على أجمل ما فيكن، وأطهر ما فيكن، وأنبل ما فيكن.

أحرضكن على الارتفاع إلى مستوى الإنسان. فنحن نبقى تحت مستوى الإنسان حتى نحب.

وهذه الليلة ستكون ليلة التحريض على الحب .
يعني ليلة الإنسانية.

هذه اليوميات وجدتها مخبوءة تحت حجر في حديقة منزل

شرقي قديم.

كانت مكتوبة على أوراق دفتر مدرسي، وبخط عصبي نَزِق.. حتى لكأن الكلمات في تشنّجها أظافر حادة تمزق لحم الورق الأبيض وتنهشه..

ضممت على الأوراق يدي.

كانت باردة ، مبتلة، لاهثة كعصفور لا وطن له طار ألف قرن تحت الثلج والمطر..

وفي غرفتي فتحت غطاء الكنز المسحور. وأوقدت ناراً .. وبدأتُ أقرأ.

ركضت على الحروف المشتعلة كأنني أركض على جسر من أعواد الكبريت.. كلما لمست عوداً تفجّر وفجّر غيره..

وحين انتهى الليل شممتُ في حجرتي ... وفي ثيابي رائحة غريبة.. رائحة امرأة تحترق....

ليس جديداً أن تحترق امرأة في هذا الشرق ... فنصف تراب صحارينا معجون برماد الضفائر الطويلة والنحور المطعونة..

ليس جديداً – في منطق السكين والفأس – أن تُذبح امرأة على سرير ولادتها ..أو سرير زفافها.. فنحن ندحرج

رؤوس النساء كما ندحرج أحجار النرد في مقاهينا.. وكما نصطاد العصافير على روابينا..

قبل شهريار ، وبعد شهريار ، ونحن نغتال العصافير المؤنثة.. نسلخها، ونأكلها، ونمسح بدمائها شواربنا المهتزة كأذيال النسانيس..

لا جديد في تاريخ إرهابنا.

ولكن الجديد أن يثور المذبوح على ذابحه، والقبر على حافره..

الجديد أن يرفض الميت موته، وأن يعض الجرح على نصل الخنجر..

وهذا ما فعلته صاحبة هذه اليوميات.

إنها إحدى المصلوبات على جدار التاريخ والخرافة.

ولكنها تبدو – وهي على خشبة الصلْب – أكبر من قيدها ومن مساميرها. وأقوى من جميع صالبيها..

إن بطلة هذه اليوميات تعرف أنها تُحتَضر ولكنها – مع دفتر يومياتها – تتفوق حتى على احتضارها.

الموت الصامت هو وحده الموت. أما الذين يثقبون

بأظافرهم رخامات قبورهم ، ويكتبون شعراً.. على خشب توابيتهم.. فلا أحد يستطيع أن يهزمهم.

..وبعد فهذه أوراق كتبتها امرأة لا اسم لها.. في مدينة لا اسم لها..

امرأة .. هي الأسماء جميعاً .. والمدن جميعاً ..

وأنا لم أفعل لهذه اليوميات شيئاً ، سوى أني أخرجتها من مخبئها الحجري .. ومسحت الغبار من أجنحتها .. ومنحتها الحرية.

نزار

رسالة إلى رجل ما

1

يا سيّدي العزيزْ ..

هذا خِطابُ امرأةٍ حمقاءْ ..

هلْ كتبَتْ إليكَ قبلي امرأةٌ حمقاءْ ؟

إسمي أنا ؟

دَعْنا منَ الأسماءْ

رانيةٌ ، أم زينبٌ ، أم هندُ ، أم هيفاءْ

أسخفُ ما نحملُهُ ، يا سيّدي ، الأسماءْ

2

يا سيّدي !

أخافُ أن أقولَ ما لديَّ من أشياءْ

أخافُ ــ لو فعلتُ ــ أن تحترقَ السّماءْ

فشرقُكم يا سيّدي العزيزْ

يصادرُ الرسائلَ الزرقاءْ

يصادرُ الأحلامَ من خزائنِ النساءْ

يمارسُ الحَجْرَ على عواطفِ النساءْ

يستعملُ السّكينَ .. والسّاطورَ ..

كي يخاطبَ النساءْ ..

ويذبحُ الربيعَ ، والأشواقَ ، والضفائرَ السوداءْ

وشرقُكم يا سيّدي العزيزْ

يصنعُ تاجَ الشرفِ الرفيعِ .. من جماجمِ النساءْ ..

3

لا تنتَقِدْني سيّدي ..

إنْ كانَ خَطّي سيّئاً ..

فإنّني أكتبُ .. والسيّافُ خلفَ بابي

وخارجَ الحُجرةِ صوتُ الريحِ والكلابِ

يا سيّدي !

عنترةُ العبسيُّ خلفَ بابي

يذبحُني .. إذا رأى خِطابي

يقطعُ رأسي ..

لو رأى الشفّافَ من ثيابي ..

يقطعُ رأسي .. لو أنا

عبَّرْتُ عن عذابي ..

فشرقُكمْ يا سيّدي العزيزْ

يحاصرُ المرأةَ بالحرابِ ..

وشرقُكم ، يا سيّدي العزيزْ

يبايعُ الرجالَ أنبياءً

ويطمرُ النساءَ في التُّرابِ ..

4

لا تنزعجْ !

يا سيّدي العزيزَ .. من سُطوري

لا تنزعجْ !

إذا كسرتُ القُمْقُمَ المسدودَ من عصورِ

إذا نزعتُ خاتمَ الرصاصِ عن ضميري

إذا أنا هربتُ من أقبيةِ الحريمِ في القصورِ .

إذا تمرَّدْتُ على موتي . على قبري . على جذوري

والمسلخِ الكبيرِ ..

لا تنزعجْ يا سيّدي

إذا أنا كشفتُ عن شعوري

فالرجلُ الشرقيُّ .. لا يهتمُّ بالشِّعرِ ولا الشُّعورِ

الرجلُ الشرقيُّ ــ واغفرْ جُرْأتي ــ

لا يفهمُ المرأةَ إلا داخلَ السريرِ ..

5

معذرةً يا سيّدي

إذا تطاولْتُ على مملكةِ الرجالِ

فالأدبُ الكبيرُ ــ طبعاً ــ أدبُ الرجالِ

والحبُّ كان دائماً .. من حِصَّةِ الرجالِ ..

والجنسُ كانَ دائماً

مُخَدَّراً يُباعُ للرجالِ

خُرافةٌ حُريّةُ النساءِ في بلادِنا

فليسَ من حُريّةٍ أخرى سِوى حُريّةُ الرجالِ ..

يا سيّدي !

قُل كلَّ ما تريدُه عنّي .. فلنْ أُبالي

سطحيّةٌ .. غبيّةٌ .. مجنونةٌ .. بلهاءْ ..

فلم أعُدْ أُبالي

لأنَّ مَن تكتبُ عن همومِها

في منطقِ الرجالِ ، تُدعى امرأةً حمقاءْ

ألمْ أقُلْ في أوَّلِ الخطاب ..

إنّي امرأةٌ حمقاءْ ..

اليوميات

يوميات امرأة لا مبالية

1

على دفترْ .. سأجمعُ كلّ تاريخي على دفترْ ..
سأرضعُ كلّ فاصلةٍ حليبَ الكلمةِ الأشقرْ ..
سأكتبُ لا يهمُّ لمن سأكتبُ هذه الأسطرْ ..
فحسبي أن أبوحَ هنا لوجهِ البوحِ لا أكثرْ ..
حـــروفٌ لا مبـــاليةٌ أبعثرها على دفتـــرْ ..
بلا أمـــلٍ بأن تبقى بلا أمـــلٍ بأن تُنشـــرْ ..
لعـــلّ الريح تحملهـــا فتزرع في تنقلهـــا ..
هنا حرجاً من الزعتر هنا كرماً هنا بيدرْ ..
هنا شمســـاً و صيفـــاً رائعـــاً أخضـــرْ ..
حروف سوف أفرطها كقلب الخوخة الأحمرْ
لكلّ ســـجينةٍ تحيا معي في سجني الأكبرْ ..
حروفٌ سوف أغرزها بلحمٍ حياتنا خنجرْ ..
لتكسرَ في تمرّدهـــا جليداً كان لا يُكسرْ ..
لتخلعَ قفل تابوتٍ أُعِـــدَّ لنـــا لكي نُقبرْ ..
كتـــاباتٍ أقـــدّمها لأيّ مهجةٍ تَشـــعرْ ..
سيسعدني إذا بقيتْ غداً مجهولة المصدرْ ..

- 2 -

أنـــا أنثـــى .. أنـــا أنثـــى ..
نـــهار أتيت للدنيـــا وجدتُ قرار إعدامي ..
ولم أرَ بابَ محكمتي و لم أرَ وجهَ حكّامي ..

- 3 -

عقاربُ هذه الساعة كحوتٍ أسودَ الشفتين يبلعني ..
عقاربها كثعبانٍ على الحائط كمقصلةٍ كمشنقةٍ كسكّينٍ تمزّقني

كلصٍّ مسرعِ الخطوات يتبعني و يتبعني ..
لماذا لا أحطّمها ؟ وكلّ دقيقةٍ فيها تحطّمني
أنا امرأةٌ بداخلها توقفَ نابضُ الزّمنِ ..
فلا نوّارَ أعرفهُ .. ولا نيسانَ يعرفني

..

- 4 -

أنا بمحارتي السوداء .. ضوءُ الشمسِ يوجعني
وســـاعةُ بيتنا البلهاء .. تعلكنـــي و تبصقنـــي
مجــــلاتي مبعثــرةٌ ..وموســيقاي تضجرني
مع الموتى أعيش أنا .. مع الأطلال و الدّمــنِ
جميــعُ أقاربي موتى .. بلا قبــرٍ و لا كفنِ
أبوح لمن ؟ ولا أحداً ..مِنَ الأمواتِ يفهمني ؟
أثور أنا على قدري .. على صدئي على عفني
و بيتٍ كلُّ مَنْ فيــه .. يعادينـــي و يكرهني

نوافذه ستائره تراب الأرض يكرهني
أدقُّ بقبضتي الأبواب ..و الأبوابُ ترفضنـــي
بظفري أحفر الجدران .. أجلدها و تجلــدني
أنا في منزل الموتى فمن من قبضة الموتى يحررني ؟ !

- 5 -

لمــــــن صـــــدري أنـــا يكبـــرْ .. ؟ !
لمـــن كرزاته دارت ؟.. لمـــن تفاحه أزهرْ ؟ !
لمن ؟ صحنانِ صينيّان ..من صدفٍ ومن جوهرْ ؟
لمن ؟ قدحان من ذهبٍ .. و ليس هناك من يسكرْ

لمـــن شـــفةٌ مناديـــةٌ ..تجمّدَ فوقها السّكـــرْ ؟
أللشـــيطان للديـــدان .. للجـــدران لا تُقهرْ ؟
أربّيها وضوءُ الشمسِ أسقيها سنابلَ شعري الأشقرْ

- 6 -

خلوتُ اليوم ساعاتٍ إلى جسدي .. أفكر في قضاياهُ
أليسَ له هو الثاني قضاياهُ ؟ .. وجنّتهُ .. و حُمَّاهُ ..؟
لقـــد أهملتـــهُ زمنـــاً .. و لـــم أعبـــأ بشـــكواهُ
نظرتُ إليهِ في شغفٍ .. نظرتُ إليهِ من أحلى زواياهُ
لمســـتُ قبابـــهُ البيضـــاء و غابتـــهُ ومرعـــــــاهُ
أنـــا لـــوني حليبـــيٌّ كأنّ الفجرَ قطّـــرهُ و صفـــاهُ
أســـفتُ لأنّه جسدي .. أسفتُ على ملاستهِ
و ثرتُ على مصمّمهِ .. و عاجنـــهِ و ناحتـــهِ
رثيتُ له لهـــذا الوحش .. يأكلُ من وســـادتهِ
لهـــــذا الطّفــــلِ ليسَ تنـــــام عينــــــاهُ
نزعتُ غلالتي عنّي رأيتُ الظلّ يخرجُ من مراياهُ
رأيتُ النّهـــدَ كالعصفورِ لم يتعـــبْ جناحـــاهُ
تحـــرّرَ مـــن قطيفتـــهِ و مـــزّقَ عنـــه تفتـــاهُ
حزنتُ أنا لمرآهُ .. لماذا الله كوّرهُ و دوّرهُ و سوّاهُ ؟ !

لمـــــاذا الله أشــــقاني بفتنتــــــه و أشــــقاهُ ؟
و علّقـــهُ بأعلى الصّـــدرِ جرحاً لســـتُ أنســـاهُ

- 7 -

لمـــاذا يستبدُّ أبي ؟ .. و يرهقني بسلطتهِ ؟ !
و ينظرُ لي كآنيـــةٍ ..كسطرٍ في جريدتـــهِ
و يحـــرصُ أن أظلَّ لهُ ..كأني بعض ثروتهِ
و أن أبقـــى بجانبـــهِ .. ككرســـيٍّ بحجرتهِ
أيكفـــي أنني ابنتهُ .. وأني من ســـلالتهِ ؟
أيطعمنـــي أبي خبزاً .. أيغمـــرني بنعمتهِ ؟
كفرتُ أنا بمال أبي.. بلؤلؤهِ .. بفضّتــــــهِ
أبي لم ينتبـــه يومـــاً .. إلى جسدي و ثورتهِ
أبي رجـــل أنانـــيٌّ .. مريضٌ في محبّتــــــهِ
مريضٌ في تعصّبـــهِ .. مريضٌ في تعنّتــــــهِ
يثورُ إذا رأى صـــدري تمـــادى في استدارتهِ
يثورُ إذا رأى رجـــلاً .. يقرب من حديقتهِ
أبي لـــن يمنعَ التّفاح .. عن إكمالِ دورتـــهِ
سيأتي ألفَ عصفورٍ .. ليسرقَ من حديقتهِ

- 8 -

على كرّاستي الزرقـــاء أستلقي بحريّـــه
وأبسط فوقها ساقي في فرحٍ و عفويّـــه
أمشّطُ فوقها شعري .. و أرمي كل أثوابي الحريريّه
أنـــامُ أفيـــقُ عاريـــةً .. أســـيرُ أســـيرُ حافيـــةً
علـــــى صفحـــــات أوراقـــــي الســـماويّه
على كرّاســـتي الزرقاء .. أســـترخي على كيفي
و أهربُ من أفاعي الجنس و الإرهابِ و الخوفِ
و أصرخُ ملءَ حنجرتي .. أنا امرأةٌ .. أنا امرأةٌ
أنا إنسانةٌ حيَّـــه .. أيا مدنَ التّوابيتِ الرخاميّه
على كراستي الزرقاء تسقطُ عنّي أقنعتي الحضاريّه
ولا يبقى سوى نهدي تكوّمَ فوقَ أغطيتي كشمسٍ استوائيّه
ولا يبقى سوى جسدي يعبّرُ عن مشاعرهِ بلهجتهِ البدائيّه
و لا يبقى .. و لا يبقى .. ســـوى الأنثـــى الحقيقيّـــه

- 9 -

أحبُّ طيورَ تشرينِ .. تســـافرُ حيثما شـــاءت
و تأخذُ في حقائبها بقايا الحقلِ من لوزٍ ومن تينِ
أنا أيضاً أحبٌ أكونَ .. مثـــل طيورِ تشـــرينِ
أحـــــبُّ أضيـــــعَ .. مثـــل طيورِ تشـــرينِ
فحلوٌ أن يضيعَ المـــرءُ .. بيـــنَ الحينِ و الحيـــنِ

أريدُ البحثَ عن وطن .. جديــدٍ غيرَ مسكونِ
وربٍّ لا يطـــاردني .. و أرضٍ لا تعــاديني
أريدُ أفرُّ من جلــدي .. ومن صوتي ومن لغتي
وأشـــردُ مثـــل رائحـــة البســـاتينِ
أريدُ أفــرُّ من ظلّــي .. و أهرب من عناويني
أريدُ أفــرُّ من شــرقِ الخرافــة و الثعــابينِ
مــن الخلفاء و الأمراء .. مــن كل السلاطينِ
أريـــدُ أحـــبُّ ..مثــل طيور تشــرينِ
أيـــا شـــرقَ المشـــانقِ و الســكاكينِ

- 10 -

صــباحَ اليومِ فاجأني .. دليــلُ أنوثتي الأوّلْ
كتمتُ تمزّقي ورحتُ .. أرقبُ روعةَ الجّدولْ
وأتبــعُ موجــهُ الذهبيّ .. أتبعــهُ ولا أسألْ
هنـــا أحجارُ ياقوتٍ .. وكنزُ لآلــئٍ مُهملْ
هنـــا نافورة جذلـــى .. هنا جسرٌ من المخملْ
هنا سفنٌ من التوليب .. ترجو الأجملَ الأجملْ
هنـــا حبرٌ بغير يـــدٍ .. هنا جــرحٌ ولا مقتلْ
أأخجلُ منه هل بحـــرٌ .. بعـــزّةِ موجهِ يخجلْ ؟
أنا للخصبِ مصدرهُ .. أنا يـــدهُ .. أنا المغزلْ

- 11 -

أسائلُ دائماً نفسي .. لماذا لا يكونُ الحبّ في الدنيا؟
لكلّ الناس .. كلّ الناس .. مثـــل أشـــعة الفجـــرِ

لمـــاذا لا يكون الحـــبّ مثـــل الخبـــزِ و الخمـــرِ ؟
ومثـــــــــلَ المـــــــــــاءِ في النّهـــــــــرِ
و مثلَ الغيمِ و الأمطار.. و الأعشـــاب و الزهـــرِ
أليس الحبّ للإنسان .. عمـــراً داخل العمـــرِ ؟
لمـــاذا لا يكون الحـــبّ في بلـــدي طبيعيـــّاً ؟
كأنّـــه زهـــرةٌ بيضاء طالعـــةٌ من الصخـــرِ
طبيعيّاً كلقيا الثغر بالثغر .. ومنساباً كما شعري على ظهري

لمـــاذا لا يحـــبّ الناس في ليـــنٍ و في يســـرِ ؟
كما الأســـماك في البحرِ .. كما الأقمار في أفلاكها تجـــري

لماذا لا يكون الحبّ في بلدي ضروريّاً كديوانٍ من الشعرِ ؟ !

أفكّر : أيّنا أسعدْ ؟

أنا .. أم قطنا الأسود ؟

أنا ؟ أم ذلك الممدود .. سلطاناً على المقعدْ ؟
سعيداً تحت فروتهِ كربٍّ مطلقٍ مفردْ
أفكّرُ : أيّنا حرٌّ و مَن منّا طليق اليـــدْ
أنـــا أم ذلك الحيـــوان .. يلحسُ فـــروه الأجعـــــدْ ؟

أمامي كائنٌ حرٌّ يكادُ للطفهِ يُعبــدْ
لهذا القطّ عالمهُ ، له طررٌ ، له مسندْ
له في السطحِ مملكةٌ و راياتٌ له تُعقدْ
له حريّةٌ و أنـــا أعيشُ بقمقمٍ موصدْ

- 13 -

أنا نهـــداي في صــــدري كعصفورين قد ماتا من الحرِّ
كقدّيســين شـــــرقيّين .. متّهميــــن بالكفــــرِ
كم اضطُّهدا و كم جُلدا .. وكم رقـــدا على الجمـــرِ
وكم رفضـــا مصـــيرهما .. وكم ثـــارا على القهـــرِ
وكم قطعــــا لجامهمـــا .. وكم هربـــا من القبـــرِ
متى ســـيُفكُّ قيــدهما ؟ .. متـــى ؟ يـــا ليتنـــي أدري

- 14 -

نزلـــتُ إلى حديقتنـــا .. أزورُ ربيعهـــا الرّاجعْ
عجنتُ ترابها بيدي .. حضنتُ حشيشها الطالعْ

رأيتُ شجيرةَ الدّراق .. تلبسُ ثوبهـــا الفاقـــعْ
رأيتُ الطّيـــرَ محتفـــلاً .. بعودة طيره الساجعْ
رأيتُ المقعـــدَ الخشبيّ .. مثـــلَ الناسكِ الراكعْ
ســـقطتُ عليه باكيةً .. كأنّي مركبٌ ضائـــعْ
أحتى الأرض يا ربّي تعبّر عن مشاعرها بشكل بارع
أحتّى الأرض يا ربّي لها يومٌ تحبُّ به تضمُّ حبيبها الراجع

رفوف العشب من حولي لها سبب .. لها دافع
فليس الزنبق الفارع و ليس الحقل ، ليس النحل ، ليس الجدول النابع

سوى كلمات هذي الأرض .. غير حديثها البارع

أحـــسّ بداخلي بعثاً يمزّق قشرتي عني و يسقي جذري الجائع

و يدفعني لأن أعدو مع الأطفال في الشارع

أريد .. أريد أن أعطي كأيّ زهرة في الروض تفتّح جفنها الدامع

كأية نحلة في الحقل تمنح شهدها النافع

أريد .. أريد أن أحيا بكل خليةِ مني مفاتن هذه الدنيا بمخمل ليلها الواسع

و برد شتائها اللاذع

أريد .. أريد أن أحيا .. بكل حرارة الواقع .. بكل حماقة الواقع

- 15 -

أبـــــي صـــنفٌ مـــــن البشــــرِ
مزيجٌ من غباءِ التّرك و من عصبيّة التّترِ
أبي أثر من الآثار .. تابوتٌ من الحجرِ
تهرّأ كل ما فيهِ ..كبابِ كنيســـةٍ نخرِ

كهارون الرشيد أبي ، جواريه ، مواليه ، تمطّيه على تخت من الطّررِ

و نحن هنا .. ســباياه .. ضحاياه .. مماســح قصــره القـــذرِ

- 16 -

أغطُّ الحرفَ بالجرحِ و أكتبُ فــوقَ جدرانٍ من الكبريت و الملحِ

و أبصقُ فوقَ أوثانٍ عواطفها من الملحِ و أعينها و منطقها من الملحِ

- 17 -

لماذا في مدينتنـــا نعيش الحـــبَّ تهريبـــاً و تزويـــرا ؟

و نسرق من شقوقِ الباب موعدنا و نستعطي الرسائل و المشاويرا

لماذا في مدينتنا ..؟ يصيدون العواطف و العصافيرا

لماذا نحن قصديرٌ ؟ و ما يبقى من الإنسان حين يصير قصديرا ؟ !

لماذا نحن مزدوجون إحساساً .. وتفكيرا ؟

لماذا نحن أرضيّون ..تحتيّون .. نخشى الشمس و النورا ؟

لماذا أهل بلدتنا يمــزّقهم تناقضهم

ففي ساعات يقظتهم يسبّون الضفائر و التنانيرا

و حين الليل يطويهم يضمّون التصاويرا

يعود أخي من الماخور عند الفجر سكرانا
يعود كأنّه السلطان ، من ســمّاه سلطانا؟
و يبقى في عيون الأهل أجملنا و أغــلانا
و يبقى في ثياب العهر .. أطهرنا و أنقانا
يعود أخي من الماخور مثل الدّيك نشوانا

فسبحان الذي سوّاه من ضوءٍ و من فحمٍ رخيصٍ نحن سوّانا

وســـبحان الذي يمحـــو خطـــاياه ولا يمحـــو خطـــايانا

- 19 -

خرجتُ اليومِ للشّرفة على الشّباك جارتنا المسيحيّة تحيّيني

فرحتُ لأنّه إنسانٌ يحيّيني

لأنّ يداً صباحيّة .. يداً كمياهِ تشرينِ
تلــــــوّحُ لي تنـــــــاديني

أيا ربّي متى نُشفى تُرى من عقدةِ الدّينِ ؟
أليسَ الدّين كلّ الدّين إنساناً يحيّيني
و يفتحُ لي ذراعيهِ و يحملُ غصنَ زيتونِ

- 20 -

تُخيفُ أبي مراهقتي .. يدقُّ لها طبول الذّعرِ و الخطرِ
يقـــاومها .. يقـــاوم رغوة الخلجان يلعنُ جرأةَ المطرِ
يقـــاوم دونمـــا جدوى مـــرور النّســـغ في الزّهـــرِ

أبي يشــقى إذا ســألت رياحُ الصّيفِ عن شــعري
و يشــقى إن رأى نهـــديَّ يرتفعــانِ في كِبــرِ
و يغتســلان كالأطفــال تحــتَ أشــعّة القمــرِ
فمــا ذنبي و ذنبهمــا .. همــا منّي .. همــا قدري

- 21 -

سماء مدينتي تمطر

ونفسي .. مثلها تمطر

وتاريخي معي .. طفل

نحيل الوجه لا يبصر

أنا حزني رمادي

كهذا الشارع المقفر

أنا نوع من الصُبير ..

لا يعطي .. ولا يثمر

حياتي مركب ثمل

تحطم قبل أن يبحر ..

وأيامي مكررة

كصوت الساعة المضجر

وكيف أنوثتي ماتت

أنا ما عدت أستفكر

فلا صيفي أنا صيف

ولا زهري أنا يزهر

بمن أهتم .. هل شيء

بنفسي _ بعد _ ما دُمر

أبالعفن الذي حولي ..

أم القِيم التي أنكر

حياتي كلها عبث

فلا خبرٌ .. أعيش له .. ولا مُخبر

للا أحد .. أعيش أنا ..

ولا .. لا شيء أستنظر ...

متى يأتي ترى بطلي ؟

لقد خبأت في صدري

له زوجاً من الحجل

وقد خبأت في ثغري

له ، كوزاً من العسل ..

متى يأتي على فرس

له ، مجدولة الخصل

ليخطفني ..

ليكسر باب معتقلي

فمنذ طفولتي وأنا ..

أمد على شبابيكي ..

حبال الشوق والأمل ..

وأجدل شعري الذهبي كي يصعد ..

على خصلاته .. بطلي ..

سأكتب عن صديقاتي ..

فقصة كل واحدة

أرى فيها .. أرى ذاتي

ومأساة كمأساتي ..

سأكتب عن صديقاتي ..

عن السجن الذي يمتص أعمار السجينات ..

عن الزمن الذي أكلته أعمدة المجلات ..

عن الأبواب التي لا تفتح

عن الرغبات وهي بمهدها تذبح

عن الحلمات تحت حريرها تنبح

عن الزنزانة الكبرى

وعن جدرانها السود ..

وعن آلاف .. آلاف الشهيدات

دفن بغير أسماء بمقبرة التقاليد ..

صديقاتي ..

دمى ملفوفة بالقطن

داخل متحف مغلق

نقودٌ .. صكها التاريخ ، لا تــُهدَى ولا تــُنفق

مجاميع من الأسماك في أحواضها تخنق

وأوعية من البلور مات فراشها الأزرق ...

بلا خوف سأكتب عن صديقاتي ..

عن الأغلال دامية بأقدام الجميلات ..

عن الهذيان .. والغثيان .. عن ليل الضراعات ..

عن الأشواق تدفن في المخدات ..

عن الدوران في اللاشيء ..

عن موت الهنيهات ..

صديقاتي ..

رهائن تشترى وتباع في سوق الخرافات ..

سبايا في حريم الشرق .. موتى غير أموات ..

يعشن ، يمتن ، مثل الفطر في جوف الزجاجات

صديقاتي ..

طيور في مغائرها تموت بغير أصوات ...

بلادي ترفض الحُبَّا

تصادره كأي مخدِّرٍ خطرٍ

تطارده ..

تطارد ذلك الطفل الرقيق الحالم العذْبَا

تقصُّ له جناحيهِ ..

وتملأ قلبه رُعبا ...

بلادي تقتل الربَّ الذي أهدى لها الخصبا

وحوَّل صخرها ذهباً

وغطى أرضها عشبا ..

وأعطاها كواكبَها

وأجرى ماءها العذْبا

بلادي . لم يزُرْها الربُّ

منذُ اغتالتِ الربا ..

كفى يا شمس تموزٍ غبار الكلس يعمينا

فمنذ البدء غير الكلس ، لم تشرب أراضينا

ومنذ البدء غير الدمع ، لم تسكب مآقينا

ومنذ البدء نستعطي سماءً ليس تُعطينا ..

كفانا نلعق الأحجارَ

والأسفلتَ ، والطينا

كفانا ، يا سماواتٍ

من القصدير تكوينا ..

جلودُ وجوهنا يَبِستْ

تشقّقَ لحمُ أيدينا ..

لماذا ؟ ترفضُ الأمطارُ أن تسقي روابينا

لماذا؟ تنشفُ الأنهارُ إنْ مرَّتْ بوادينا ..

لماذا ؟ تصبح الأزهارُ فحماً في أوانينا

لأنّا قد قتلنا العطرَ .. واغْتَلنا الرياحينا ..

وأغمدنا بصدر الحُبِّ ، أغمدنا السكاكينا ..

لأن الأرض تشبهُنا

مناخاتٍ وتكوينا ...

لأن العقمَ ، كل العُقْم

لا في الأرض بل فينا ...

- 26 -

يروعني ..

شحوب شقيقتي الكبرى

هي الأخرى

تعاني ما أعانيه

تعيش الساعة الصفرا

تعاني عقدة سوداء

تعصر قلبها عصرا

قطار الحسن مر بها

ولم يترك سوى الذكرى

ولم يترك من النـهدين

إلا الليف والقشرا

لقد بدأت سفينتـها

تغوص .. وتلمس القعرا

أراقبـها وقد جلست

بركن ، تصلـح الشعرا

تصففه .. تخربـه

وترسل زفرة حرى

تلوب .. تلوب .. في الردهات

مثل ذبابة حيرى

وتقبع في محارتـها

كنـهر .. لم يجد مجرى

فساتيني !

لماذا صرت أكرهها ؟

لماذا لا أمزقها ؟

أقلب فوقها طرفي

كأني لست أعرفها

كأني .. لم أكن فيها

أحركها و أملؤها ..

لمن تتهدل الأثواب .. أحمرها وأزرقها

وواسعها .. وضيقها

وعاريها .. ومغلقها

لمن قصبي ! .. لمن ذهبي ؟

لمن عطرٌ فرنسي ؟

يقيم الأرض من حولي ويقعدها

فساتيني !

فراشات محنطة

على الجدران أصلبها

وفي قبر من الحرمان أدفنها ..

مساحيقي وأقلامي

أخاف أخاف أقربها

وأمشاطي .. ومرآتي

أخاف أخاف ألمسها ..

فما جدوى فراديسي ؟..

و لا إنسان يدخلها ...

- 28 -

مدينتنا .. تظل أثيرة عندي

برغم جميع ما فيها

أحب نداء باعتها

أزقتها .. أغانيها

مآذنها .. كنائسها

سُكاراها .. مُصليها ..

تسامحها .. تعصبها

عبادتها لماضيها ..

مدينتنا _ بحمد الله _

راضية بما فيها ..

ومن فيها ..

بآلاف من الأموات تعلكهم مقاهيها ..

لقد صاروا ، مع الأيام

جزءاً من كراسيها ..

صراصير محنطة ، خيوط الشمس تعميها

مدينتنا .. وراء النرد ، منفقة لياليها

وراء جريدة كسلى .. وعابرة تعريها..

فلا الأحداث تنفضها

ولا التاريخ يعنيها ..

مدينتنا .. بلا حب

يرطب وجهها الكلسي .. أو يروي صحاريها

مدينتنا بلا امرأة ..

تذيب صقيع عزلتها

وتمنحها معانيها ...

أقمنا نصف دنيانا على حكم وأمثال

وشيدنا مزارات .. لألف .. وألف دجال ..

وكالببغاء .. رددنا مواعظ ألف محتال ..

قصدنا شيخ حارتنا ، ليرزقنا بأطفال

فأدخلنا لحجرته

وقام بنزع جبته

وباركنا وضاجعنا

وعند الباب طالبنا

بدفع ثلاث ليراتٍ

لصنع حجابه البالي ..

وعُدنا مثلما جئنا

بلا ولد .. ولا مال

يعيش بداخلي وحشٌ

جميل اسمه الرجلُ

له عينان دافئتان ..

يقطر منهما العسلُ

ألامس صدره العاري

ألامسه . وأختجل ..

قروناً .. وهو مخبوءٌ

بصدري ... ليس يرتحل

ينام وراء أثوابي ..

ينام كأنه الأجل

أخاف .. أخاف أوقظه

فيشعلني .. ويشتعل

كمخلوق خرافي يعيش بذهننا الرجلُ

تصورناه تنيناً .. له تسعون إصبعة

وشدقٌ أحمر ثملُ ..

تصورناه خفاشاً .. مع الظلمات ينتقل

تخيلناه قرصاناً ، تخيلناه ثعباناً

أمد يدي لأقتله

أمد يدي و لا أصِل

إله في معابدنا ، نصليه ونبتهل

يغازلنا .. وحين يجوع يأكلنا

ويملا الكأس من دمنا .. ويغتسل ..

إله لا نقاومه ، يعذبنا ونحتمل ..

ويجذبنا نعاجاً من ضفائرنا ونحتمل ..

ويلهو في مشاعرنا ، ويلهو في مصائرنا ونحتمل

ويدمينا ... ويؤذينا

ويقتلنا .. ويحيينا

ويأمرنا فنمتثل

إلهٌ ما له عمرٌ .. إله اسمه الرجلُ

تلاحقنا الخرافةُ والأساطيرُ

من القبر .. الخرافة والأساطير

ويحكمنا هنا الأموات .. والسياف مسرورُ

ملايينٌ من السنوات..

لا شمسٌ ولا نورُ

بأيدينا مسامير

وأرجلنا مسامير

وفوق رقابنا سيفٌ

رهيف الحد مسعورُ

وفوق فراشنا عبدٌ

قبيح الوجه مجدور

من النهدين يصلبنا

وبالكرباج يجلدنا..

ملايينٌ من السنوات .. والسياف مسرور

يفتش في خزائننا

يفتش في ملابسنا ..

عن الأحلام نحلمها

عن الأسرار تكتمها الجواريرُ

عن الأشواق تحملها التحارير ..

ملايينٌ من السنوات .. والسياف مسرور

مقيم في مدينتنا

أراه في ثياب أبي

أراه في ثياب أخي

أراه .. هاهنا .. وهنا

فكل رجال بلدتنا ..

هم السياف مسرورُ ..

ثقافتنا ..

فقاقيع من الصابون والوحل ..

فما زالت بداخلنا

رواسب من (أبي جهل)

وما زلنا

نعيش بمنطق المفتاح والقفل

نلف نساءنا بالقطن .. ندفنهن في الرمل

ونملكهن كالسجاد ..

كالأبقار في الحقل

ونهزأ من قوارير

بلا دين ولا عقل ..

ونرجع آخر الليل ..

نمارس حقنا الزوجي كالثيران والخيل ..

نمارسه خلال دقائق خمسٍ

بلا شوق .. ولا ذوق ..

ولا ميل ..

نمارسه .. كآلات

تؤدي الفعل للفعل ..

ونرقد بعدها موتى ..

ونتركهن وسط النار ..

وسط الطين والوحل

قتيلات بلا قتل

بنصف الدرب نتركهن ..

يا لفظاظة الخيل .. !!

- 33 -

قضينا العمر في المخدع

وجيش حريمنا معنا

وصك زواجنا معنا

وصك طلاقنا معنا..

وقلنا : الله قد شرَّع

ليالينا موزعة

على زوجاتنا الأربع..

هنا شفة .. هنا ساق ..

هنا ظفر .. هنا إصبع

كأن الدين حانوت

فتحناه لكي نشبع ..

تمتعنا (بما أيماننا ملكت)

وعشنا في غرائزنا بمستنقع

وزورنا كلام الله بالشكل الذي ينفع

ولم نخجل بما نصنع

عبثنا في قداسته

نسينا نبل غايته..

ولم نذكر سوى المضجع

ولم نأخذ

سوى زوجاتنا الأربع ...

أنا طروادة أخرى

أقاوم كل أسواري

وأرفض كل ما حولي .. ومَن حولي .. بإصرار ..

أقاوم واقعي المصنوع ..

من قش وفخار ..

أقاوم كل أهل الكهف . والتنجيم ، والزار ..

تواكلهم ، تآكلهم ، تناسلهم كأبقار ..

أمامي ألف سياف وسياف

وخلفي ألف جزار وجزار ...

فيا ربي !

أليس هناك من عار سوى عاري ؟

ويا ربي !

أليس هناك من شغل

لهذا الشرق .. غير حدود زناري ؟؟.

تظل بكارة الأنثى

بهذا الشرق عقدتنا وهاجسنا

فعند جدارها الموهوم قدمنا ذبائحنا..

وأولمنا ولائمنا ..

نحرنا عند هيكلها شقائقنا

قرابيناً .. وصحنا _(وا كرامتنا) .

صداع الجنس ..مفترسٌ جماجمنا

صداع مزمن بشعٌ من الصحراء رافقنا

فأنسانا بصيرتنا ، وأنسانا ضمائرنا

وأطلقنا ..

قطيعاً من كلاب الصيد .. نستوحي غرائزنا ..

أكلنا لحم مَن نهوى ومسحنا خناجرنا ..

وعند منصة القاضي صرخنا (وا كرامتنا) ..

وبرمنا كعنترة بن شداد شواربنا ...

وداعا .. أيها الدفتر

وداعا يا صديق العمر ، يا مصباحي الأخضر

ويا صدرا بكيت عليه ، أعواما ، ولم يضجر

ويا رفضي .. ويا سخطي ..

ويا رعدي .. ويا برقي ..

ويا ألماً تحول في يدي خنجر ..

تركتك في أمان الله

يا جرحي الذي أزهر

فإن سرقوك من درجي

وفضوا ختمك الأحمر

فلن يجدوا سوى امرأة

مبعثرة على دفتر ..